

كيف نتحدث عن الإسلام لعباده؟ سماحة الشيخ حسن الصفار



كيف نتحدث عن الإسلام لعباده؟

سماحة الشيخ حسن الصفار

الثقافة الدينية والخطاب الديني ينبغي أن يركز على هذا الأمر، كيف ينبغي أن نعرف الإسلام للناس، كيف نتحدث عن الإسلام لخلقهم وعبادته؟

بعض الخطاب الديني يطيل الحديث عن جانب الوعيد والعقوبات، لكنه لا يركز على الوعد بالمغفرة وبالثواب، وهذا فقدان للتوازن، بعض الدعاة يصورون الإسلام تعالى أمام الناس وكأنه جلال منتقم، لذلك تحصل حالات سلبية في بعض أوساط المتدينين، بسبب عدم التوازن في الخطاب الديني، مثل بعض حالات الوسواس والاضطراب في القضايا العبادية، بدايتها من الشعور بالخوف الشديد من عقاب الإسلام، يخشى من

حدوث خلل في الغسل أو الوضوء يؤدي به إلى النار والعذاب!!

حينما يبالغ الإنسان في مثل هذه الأمور يقع في مشكلات نفسية، بينما إذا تعرف الإنسان إلى ربه الغفور الرحيم الرؤوف بعباده وأنَّ رحمته سبقت غضبه، وأنَّ رحمته وسعت كلَّ شيء، هذه الصورة إذا سكنت قلب الإنسان ترفع معنوياته، وتجعله أقرب إلى ربه، محبًّا له سبحانه، وهناك فرق بين المحبة والهيبة، فهناك شخص تحبه وتنجذب إليه، وشخص تهابه وتخاف منه، لا شك أنَّ الشعور بالمحبة هو الشعور الأفضل في نفس الإنسان.

□ سبحانه وتعالى يريد أن يكون شعور العبد تجاهه شعور المحبة، والإحساس بالرحمة والرأفة، صحيح أنه يعرف أنَّ شدة العقاب، لكن هذه الحالة استثنائية قليلة نادرة.

حينما بلغ الإمام زين العابدين "ع" أنَّ الحسنَ البصري يقول: لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ هَلَكَ كَيْفَ هَلَكَ؟ وَإِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا. قَالَ: أَرَأَا أَقُولُ: لَيْسَ الْعَجَبُ مِمَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا وَإِنَّمَا الْعَجَبُ مِمَّنْ هَلَكَ كَيْفَ هَلَكَ مَعَ سُرْعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ.»

فالأصل هو الرحمة والرأفة، ورد عن رسول الله "ص" أنه قال: «مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ خَلَقَ لَهُ مَا يَغْلِبُهُ، وَخَلَقَ رَحْمَتَهُ تَغْلِبُ غَضَبَهُ.»

وعن الإمام علي "ع": «إِنَّ أَرْحَمَ بَلَدٍ مِنْ نَفْسِكَ.»

وكما جاء في الدعاء: «يا مَنْ وَسَّعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَتُهُ، يا مَنْ سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ».

فالنصوص تركز على هذا المعنى، وخاصة في هذا العصر، حيث يواجه الإنسان مختلف الضغوط في الحياة، ويحتاج إلى مساندة ودعم، وإلى رفع معنوياته، لذلك لا بُدَّ وأن تُطرح المفاهيم الدينية التي تقرّب الإنسان إلى ربه، وتفتح أمامه آفاق الأمل، وللأسف هناك بعض المتديّنين نفوسهم ضيقة، حينما يَرَوْنَ أشخاصًا لديهم بعض المعاصي، ينبذونهم، ولا يأملون فيهم خيرًا، بينما النصوص الدينية تحذّر من مثل هذا التفكير، جاء في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب "ع" لولده الإمام الحسين "ع": «أَيُّ بُذَيٍّ، لَا تُؤَيِّسْ مُذْنِبًا، فَكَمْ مِنْ عَاكِفٍ عَلَى ذَنْبِهِ خُتِمَ لَهُ بِخَيْرٍ، وَكَمْ مِنْ مُقْبِلٍ عَلَى عَمَلٍ مُمْسِدٍ فِي آخِرِ عُمْرِهِ صَائِرٌ إِلَى النَّارِ».

لذلك ينبغي التوازن في خطابنا الديني، وأن نتحدث عن رأفة الله، ورحمته بعباده، لكي نرفع معنويات الإنسان، ونحيّيه إلى الله، وكما ورد في الأحاديث القدسية التي تدعو إلى حسن الدعوة إلى الله تعالى، كما ورد في الحديث القدسي أن الله خاطب نبيه داوود: «حَبِّبْنِي إِلَى عِبَادِي».

إنَّ نظرة المتدينين لمن يرونه مخالفًا للتدين والالتزام، ينبغي ألا تكون نظرة سوداء قاتمة، بل عليهم أن يعرفوا أن رحمة الله أوسع وأعظم وقد تشمل هذا الإنسان.